المراد بالجبار في قوله صلى الله عليه وسلم : وكثافة جلده ـ أي الكافر ـ اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار

الأستاذ الدكتور/ صالح بن محمد العقيل
الأستاذ بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية

ملخص البحث

ــ ذكر الأحاديث الواردة في ذراع الجبار مع عزوها إلى من أخرجها وذكر كلام أهــل العلم عليها وذكر الآثار عن الصحابة والتابعين في هذا الموضوع .

ــ بيان أقوال أهل اللغة في معنى الجبار

ــ إيراد أقوال أهل اللغة في المراد بالجبار الوارد في الحديث

ــ أقوال بعض أهل السنة الذين يرون أنه من أحاديث الصفات

ــ أقوال بعض أهل السنة الذين يرون أنه ليس من أحاديث الصفات

ــ الترجيح من القولين

ــ الخاتمة

ــ الكلمات المفتاحية : ذراع ، الجبار ، اثنان وأربعون ، ضرس الكافر .

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله أما بعد :

فإن أهل العلم من أهل السنة والجماعة لهم عناية تامة بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم رواية ودراية في جميع أبواب العلم في العقيدة والفقه والتفسير وغيرها وكما لهم مصنفات خاصة في الفقه والحديث والتفسير فكذلك لهم مصنفات في الاعتقاد منذ بدأ التصنيف وتأليف الكتب مثل الاستقامة والرد على أهل الأهواء لخشيش بن أصرم النسائي والسنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل والتوحيد لابن خزيمة والشريعة للآجري وغيرها كثير

ومعلوم أن معول أهل السنة إنما هو على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما قال ابن خزيمة رحمه الله :

لا نصف معبودنا إلا بما وصف به نفسه إما في كتاب الله أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بنقل العدل عن العدل موصولاً إليه ، لا نحتج بالمراسيل ولا بالأخبار الواهية ولا نحتج أيضاً في صفات معبودنا بالآراء والمقاييس (١).

وقد تأتي بعض النصوص تحتمل أكثر من معنى فيختلف أهل العلم في المراد بها فمنهم من يقول : هذا النص من أحاديث الصفات .

ويقول آخر : ليس من أحاديث الصفات .

ومن الأحاديث التي اختلف فيها :

قوله صلى الله عليه وسلم : ضرس الكافر مثل أحد وفخذه مثل البيضاء ومقعده من النار كما بين قديد ومكة وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار

فقيل : هذا من أحاديث الصفات ، والمراد بالجبار هنا هو الله عز وجل والذراع المضاف إليه صفة تليق بجلاله والقول فيه كالقول في صفة اليد والسمع والحياة وغيرها ورأى آخرون من أهل العلم أن هذا الحديث ليس من أحاديث الصفات وقالوا :

(١) التوحيد ١٣٧/١

الجبار في هذا الحديث ليس هو الله عز وجل وإنما هو الموصوف بالطول فالجبار في لغة العرب الطويل

وقال آخرون : المراد به جبار من جبابرة الآدميين

فلا يكون الحديث من أحاديث الصفات

وقد رأيت أن أجمع كلام أهل العلم وما قالوه في الحديث وأبين ما يظهر لي من الصواب والله الموفق وإليه المرجع والمآب وقد جعلته في ستة مباحث وخاتمة

المبحث الأول : في ذكر الأحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين الواردة فيه

المبحث الثاني : أقوال أهل اللغة في معنى الجبار

المبحث الثالث : قول أهل اللغة في المراد بالجبار الوارد في الحديث

المبحث الرابع : من يرى أنه من أحاديث الصفات

المبحث الخامس : من يرى أنه ليس من أحاديث الصفات

المبحث السادس : الراجح من القولين

المبحث الأول : الأحاديث والآثار الواردة فيه

١ ــ حديث أبي هريرة

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ثنا عبد الرحمن يعنى بن عبد الله بن دينار عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر مثل أحد وفخذه مثل البيضاء ومقعده من النار كما بين قديد ومكة وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار(١)

ورواه مسلم في صحيحه ولم يذكر ذراع الجبار فقال :

حدثني سريج بن يونس حدثنا حميد بن عبد الرحمن عن الحسن بن صالح عن هارون بن سعد عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث(٢) .

٢ ــ حديث عبد الله بن عمر

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع حدثني أبو يحيى الطويل عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

يعظم أهل النار في النار حتى إن بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبع مائة عام وإن غلظ جلده سبعون ذراعاً وإن ضرسه مثل أحد (٣)

٣ ــ حديث أبي سعيد

قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، ثنا ابن لهيعة ثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

مقعد الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام وكل ضرس مثل أحد وفخذه مثل وَرِقان(٤)وجلده سوى لحمه وعظامه أربعون ذراعاً (٥)

---

(١) رواه أحمد في المسند ٨٧/١٤ ، ١٣٤ ، رقم ٨٣٤٥ ، ٨٤١٠ ، والترمذي في السنن ٧٠٣/٤ ، رقم ٢٥٧٧ ــ ٢٥٧٩ وقال هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث الأعمش ، وابن أبي عاصم في السنة ٢٧١/١ ، رقم ٦١٠ ــ ٦١١ قال الألباني في تعليقه على السنة : اسناده صحيح على شرط الشيخين .

قال الحافظ ابن حجر : وأخرجه البزار من وجه ثالث عن أبي هريرة بسند صحيح بلفظ : غلظ جلد الكافر وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار . فتح الباري ٤٣١/١١

(٢) صحيح مسلم ٢١٨٩/٤

(٣) رواه أحمد في المسند ٤١٨/٨ ــ ٤١٩ ، والطبراني في المعجم الكبير ٣٠٧/١٢ ، رقم ١٣٤٨٢

(٤) بالفتح ثم الكسر والقاف وآخره نون ، جبل أسود بين العرج والرويثة على يمين المصعد من المدينة إلى مكة . معجم البلدان ٣٧٢/٥

(٥) رواه أحمد في المسند ٣٣٣/١٧ ، وأبو يعلى ٥٢٥/٢ ، رقم ١٣٨٧ ، والحاكم في المستدرك ٥٩٨/٤ من طريق آخر عن دراج

٤ ــ حديث ثوبان

قال البزار : حدثنا إبراهيم بن سعيد ثنا ريحان ــ هو ابن سعيد ــ ثنا عباد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ضرس الكافر فقال : مثل أحد وغلظ جلده أربعون ذراعاً بذراع الجبار

قال : لا نعلم رواه عن أيوب إلا عباد ولا عنه إلا ريحان .

قال الحافظ ابن حجر : قلت : هو عندي إسناد حسن (١)

٥ ــ حديث المقدام بن معدي كرب

قال يعقوب البسوي : حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم ، ثنا مروان الفزاري ، حدثنا يزيد ــ يعني ابن سنان أبو فروة الجزري ــ حدثني أبو يحيى سليم الكلاعي ، حدثني المقداد بن معديكرب قال وقلنا له : يا أبا كريمة إن الناس يزعمون أنك لم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال : بلى والله لقد رأيته ولقد أخذ بشحمة أذني وإني لأمشي مع عمي

قال ثم قال لعمي : ترى أنه يذكره

قال فقلنا فحدثنا شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال سمعته يقول : يحشر ما بين السقط إلى الشيخ الفاني يوم القيامة أبناء ثلاث وثلاثين سنة المؤمنون منهم في خلق آدم وحسن يوسف وقلب أيوب مرداً مكحلين أولي أفافي

قال فقلنا فكيف بالكافر يا نبي الله ؟

قال يعظم للنار حتى يصير جلده أربعين باعاً وحتى يصير ناب من أنيابه مثل أحد(٢)

٦ ــ حديث عبيد بن عمير (٣) ــ مرسل

قال ابن المبارك : أنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال قال رسول الله صلى الله عيه وسلم :

بصر جلد الكافر ــ يعنى غلظ جلده ــ سبعون ذراعاً وضرسه مثل أحد وفي سائر خلقه(٤) (٥) .

---

(١) مختصر زوائد مسند البزار ٤٧٦/٢

(٢) المعرفة والتاريخ ١٦٠/٢ ــ ١٦١ ، وأبو يعلى كما في المطالب العالية ١٤٥/٥ ، والطبراني في الكبير ٢٨٠/٢٠ ــ ٢٨١ ، قال السيوطي : أخرجه الطبراني والبيهقي بسند حسن . البدور السافرة ٤٧٠

(٣) عبيد بن عمير بن قتادة الليثي المكي أبو عاصم ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل رآه روى عن عدة من الصحابة منهم عمر وأبي بن كعب وأبي هريرة وعائشة وغيرهم وثقه يحيى بن معين وأبو زرعة وروى له الجماعة توفي سنة ٧٤ . تهذيب الكمال ٢٢٣/١٩ ، سير أعلام النبلاء ١٥٦/٤

(٤) كذا في الزهد

(٥) الزهد لابن المبارك ٣٠٥ ، زيادات رواية نعيم بن حماد ، قال الحافظ : وفي مرسل عبيد بن عمير عند ابن المبارك في الزهد بسند صحيح ... فتح الباري ٤٣١/١١

٧ ــ حديث أبي بكر الصديق ــ موقوف

قال هناد بن السري : حدثنا قبيصة ، عن حماد بن سلمة ، عن عمار بن أبي عمار أن أبا بكر رضي الله عنه قال : ضرس الكافر مثل أحد وجلده أربعون ذراعاً . (١)

٨ ــ حديث عبد الله بن مسعود ــ موقوف

قال عبد الله بن أحمد : حدثني الحكم بن موسى نا شهاب بن خراش حدثني عاصم بن أبي النجود حدثني زر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : ليسمع للهوام جلبة بين أطباق جلد الكافر كما يسمع جلبة الوحوش في البر وإن جلده لأربعون ذراعاً بذراع الجبار (٢)

٩ ــ حديث أنس ــ موقوف

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : يصير جلد الكافر أربعون ذراعاً وضرسه مثل أحد وشفته العليا تضرب ضربة بين جلده وبين لحمه ويداه كحمير الوحش يركضون بين جلده ولحمه وحياتها كأعناق البخت وعقاربها كالبغال . (٣)

١٠ ــ قول الحسن البصري

قال ابن جرير : حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو عبيدة الحداد عن هشام بن حسان عن الحسن قوله { كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها } النساء ٥٦ ، قال : تنضج النار كل يوم سبعين ألف جلد

قال : وغلظ جلد الكافر أربعون ذراعا والله أعلم بأي ذراع (٤) .

١١ ــ قول الربيع بن أنس (٥)

قال ابن جرير : حدثني المثنى قال ثنا إسحاق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله { كلما نضجت جلودهم } النساء ٥٦ ، قال سمعنا أنه مكتوب في الكتاب الأول : جلد أحدهم أربعون ذراعا وسنه سبعون ذراعاً وبطنه لو وضع فيه جبل لوسعه فإذا أكلت النار جلودهم بدلوا جلوداً غيرها (٦) .

---

(١) الزهد لهناد ١٨٩/١ ، رقم ٣٠٠

(٢) السنة لعبد الله بن أحمد ٤٩١/٢ ــ ٤٩٢ ، رقم ١١٢٧ ، و٥٠٩ ــ ٥١٠ ، رقم ١١٩٢ ورواه ابن أبي شيبة من طريق آخر عن ابن مسعود ، مصنف ابن أبي شيبة ٥٣/٧

(٣) إتحاف الخيرة المهرة ٤٢٨/١٠ ، رقم ١٠١٥٦ ، وقال : رواه مسدد موقوفاً بسند فيه ابن جدعان .

(٤) تفسير ابن جرير ٤٨٥/٨

(٥) الربيع بن أنس البكري الخراساني ، كان عالم مرو في زمانه ، سمع أنس بن مالك والحسن البصري ، توفي سنة ١٣٩ . سير أعلام النبلاء ١٦٩/٦

(٦) السابق

١٢ ــ قول أبي العالية[١]

قال : غلظ جلد الكافر أربعون ذراعاً [٢] .

قال الحافظ ابن حجر : وكأن اختلاف هذه المقادير محمول على اختلاف تعذيب الكفار في النار [٣].

المبحث الثاني : أقوال أهل اللغة في معنى الجبار

بعد النظر في المراجع اللغوية تبين أن لفظ : جبر ، يأتي لعدة معاني منها

١ ــ الطول وتجبر طال والجبار الطويل

قال إبراهيم الحربي[٤] : قال امرؤ القيس :

ويأكلن من قو لعاعاً وربة تجبر بعد الأكل فهو نميص [٥]

تجبر : طال . [٦]

قال الزجاجي[٧] : تجبر النبت : إذا طال وغلظ[٨] . ثم استشهد بالبيت السابق

قال الأزهري[٩] : جبر قال الله عز وجل { إن فيها قوماً جبارين } قال أبو الحسن اللحياني : أراد الطول والقوة والعظم والله أعلم بذلك

قلت : ــ القائل الأزهري ــ كأنه ذهب به إلى الجبار من النخيل وهو الطويل الذي فات يد المتناول

يقال : رجل جبار إذا كان طويلاً عظيماً قوياً تشبيهاً بالجبار من النخيل . [١٠]

قال الأخفش[١١] في قوله تعالى : { إن فيها قوماً جبارين } قال :

أراد الطول والقوة والعظم ، ذهب في هذا إلى الجبار من النخل وهو الطويل الذي فات الأيدي ويقال : رجل جبار ، إذا كان طويلاً عظيماً قوياً تشبيهاً بالجبار من النخل [١٢].

---

(١) أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي الإمام الحافظ المفسر ، أسلم في خلافة أبي بكر سمع من عمر وعلي وأبي ، توفي سنة ٩٣ . سير أعلام النبلاء ٢٠٧/٤

(٢) الدر المنثور ٥٧٠/٢

(٣) فتح الباري ٤٣١/١١

(٤) الحافظ العلامة أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن بشير الحربي البغدادي مصنف غريب الحديث وغيره توفي سنة ٢٨٥ . سير أعلام النبلاء ٣٥٦/١٣

(٥) ديوان امرئ القيس ١٠٦

(٦) غريب الحديث ٨٢٨/٢

(٧) أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النحوي صاحب الجمل توفي سنة ٣٤٠ . سير أعلام النبلاء ٤٧٥/١٥

(٨) اشتقاق أسماء الله ٢٤٠

(٩) العلامة اللغوي أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري الهروي مؤلف تهذيب اللغة وغيره توفي سنة ٣٧٠ . سير أعلام النبلاء ٣١٥/١٦

(١٠) تهذيب اللغة ٥٧/١١

(١١) سعيد بن مسعدة البلخي البصري أبو الحسن أخذ عن الخليل وسيبويه وصنف في النحو ومعاني القرآن ، توفي سنة ٢١٠ . سير أعلام النبلاء ٢٠٦/١٠

(١٢) شفاء العليل ٣٦٥/١

٢ ــ القهر والإكراه يقال أجبرته على كذا أكرهته ومنه اسم الله عز وجل : الجبار أي الذي جبر الخلق على ما أراد ، فال عز وجل : { الجبار المتكبر } الحشر ٢٣ ، وقال صلى الله عليه وسلم سبحان ذي الجبروت والملكوت[١][٢].

٣ ــ صلاح الحال ومنه جبر العظم وجبر الفقير ومنه ما جاء في الدعاء الذي رواه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم :

فكان يقول فيما بين السجدتين : رب اغفر لي وارحمني واجبرني وارفعني وارزقني واهدني [٣] [٤].

المبحث الثالث : قول أهل اللغة في المراد بالجبار الوارد في الحديث

قال أبو عمر الزاهد[٥] : الجبار هاهنا الطويل ، يقال نخلة جبارة [٦] .

قال ابن الأثير[٧] : ومنه الحديث الآخر : كثافة جلد الكافر أربعون ذراعاً بذراع الجبار . أراد به هنا الطويل . [٨]

قال صاحب لسان العرب[٩] : وفي الحديث كثافة جلد الكافر أربعون ذراعاً بذراع الجبار . أراد به هنا الطويل . [١٠]

المبحث الرابع : من يرى أنه من أحاديث الصفات

عده بعض أهل السنة من الصفات لذا أوردوه في كتبهم المصنفة في السنة

رواه ابن أبي عاصم في السنة [١١]وعبد الله بن أحمد في السنة [١٢] وابن مندة في الرد على الجهمية [١٣]

---

(١) رواه أحمد في المسند ٣٣١/٣٨ ، ٣٨٤ ، ٤١٣ ، وأبو داود ٥٤٤/١ ، والنسائي ١٩١/٢ والحاكم في المستدرك ٣٢١/١ وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

(٢) تهذيب اللغة ٥٧/١١ ، لسان العرب ١١٣/٤

(٣) رواه أحمد في المسند ٧٢/٥ ــ ٧٣ ، ٤٦٠ ، والترمذي ٧٦/٢ ، رقم ٢٨٤ ، ٢٨٥ والحاكم في المستدرك ٢٧١/١ ــ ٢٧٢ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٤) تهذيب اللغة ٥٧/١١ ، لسان العرب ١١٣/٤

(٥) الإمام اللغوي المحدث أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم البغدادي الزاهد ، المعروف بغلام ثعلب ، قال الخطيب : سمعت أبا القاسم عبد الواحد بن علي بن برهان الأسدي : لم يتكلم في علم اللغة أحد من الأولين والآخرين أحسن من كلام أبي عمر الزاهد قال : وله كتاب غريب الحديث صنفه على مسند أحمد بن حنبل وجعل يستحسنه جداً ، توفي سنة ٣٤٥ . تاريخ بغداد ٣٥٦/٢ ، سير أعلام النبلاء ٥٠٨/١٥

(٦) غريب الحديث لابن الجوزي ١٣٥/١

(٧) أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري مصنف جامع الأصول والنهاية في غريب الحديث وغيرها توفي سنة ٦٠٦ . سير أعلام النبلاء ٤٨٨/٢١

(٨) النهاية في غريب الحديث ٢٣٥/١

(٩) محمد بن مكرم بن علي الأنصاري اللغوي المشهور بابن منظور ألف لسان العرب واختصر تاريخ ابن عساكر توفي سنة ٧١١ . شذرات الذهب ٤٩/٨

(١٠) لسان العرب ١١٤/٤

(١١) السنة لابن أبي عاصم ٢٧١/١

(١٢) السنة لعبد الله ٤٩١/٢ ــ ٤٩٢ ، رقم ١١٢٧ ، و٥٠٩ ــ ٥١٠ ، رقم ١١٩٢

(١٣) الرد على الجهمية ٩٢ ــ ٩٣ ، رقم ٧٩

قال القاضي أبو يعلى[١] بعد ذكره لهذا الحديث :

اعلم أنه ليس في حمله على ظاهره ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحفه لأنا لا نثبت ذراعاً جارحة ولا أبعاضاً بل نثبت ذلك صفة كما أثبتنا الوجه واليدين وغيرهما من الصفات

فإن قيل : المراد بالجبار المتجبر من خلقه لأن حمله على الله سبحانه يوهم الجارحة والعضو في صفته ويوهم الطول عليه

قيل : هذا غلط لأن في الخبر أنه قال : اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار جل اسمه وهذه الصفة لا يستحقها أحد من الجبابرة غير الله عز وجل بل غيره يستحق الذم والمقت ولأنه ذكر الجبار بالألف واللام والألف واللام يدخلان للعهد والجنس وليس يمكن حمله على الجنس لأنه يقتضي كل جبار وليس هاهنا معهود من الخلق يشار إليه فلم يبق إلا أن يحمل عليه سبحانه لأنه أعرف المعارف

وأما قولهم : إنه يفضي إلى أن نصفه بالطول فليس كذلك لأنا نثبت قوله :

خلق آدم بيده ولم يوجب ذلك إثبات صفة في اليد تفضي إلى الحد على ما نعقله في الشاهد كذلك هاهنا ونثبت استواء على العرش ولم يوجب ذلك تحديده لأجل أن العرش محدود

فإن قيل : قوله : [جل اسمه] يحتمل أن يكون من كلام بعض الرواة أدرجه في كلام النبي صلى الله عليه وسلم

قيل : هذه مدحة لا يستحقها غيره ولا يجوز أن نضيف إلى الراوي الخطأ لأنه قد أخذ علينا حسن الظن فيهم

فإن قيل : هذا يفضي إلى تحديد الذراع لأن جلد الكافر محدود

قيل لا يفضي إلى هذا كما لم يفضي إلى تحديده بالإستواء على العرش لأن العرش محدود وكذلك قوله : الكرسي موضع القدمين

وكذلك قوله { والسموات مطويات بيمينه } الزمر ٦٧

ولم يوجب ذلك تحديد اليمين لأن السموات محددة .[٢]

---

(١) القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد البغدادي الحنبلي ، ابن الفراء ألف العدة في أصول الفقه وإبطال التأويلات وغيرها ، توفي سنة ٤٥٨ . سير أعلام النبلاء ٨٩/١٨

(٢) إبطال التأويلات ٢٠٣/١ ــ ٢٠٥

المبحث الخامس : من يرى أنه ليس من أحاديث الصفات

قال ابن قتيبة[١] :

وهو أن يكون الجبار هاهنا الملك قال تبارك وتعالى : { وما أنت عليهم بجبار } أي بملك مسلط والجبابرة : الملوك وهذا كما يقول الناس : هو كذا وكذا ذراعاً بذراع الملك ، يريدون بالذراع الأكبر وأحسبه ملكاً من ملوك العجم كان تام الذراع فنسب إليه [٢].

ــ قال أبو بكر أحمد بن إسحاق الصبغي[٣] :

معنى قوله بذراع الجبار أي جبار من جبابرة الآدميين ممن كان في القرون الأولى ممن كان أعظم خلقاً وأطول أعضاء وذراعاً من الناس [٤]

ــ قال البيهقي [٥] :

قال بعض أهل النظر في قوله : [بذراع الجبار] :

إن الجبار هاهنا لم يعن به القديم وإنما عني به رجلاً جباراً كان يوصف بطول الذراع وعظم الجسم ألا ترى إلى قوله { كل جبار عنيد } وقوله { وما أنت عليهم بجبار }

وقوله [بذراع الجبار] أي بذراع ذلك الجبار الموصوف بطول الذراع وعظم الجسد ويحتمل أن يكون ذلك ذراعاً طويلاً يذرع به ، يعرف بذراع الجبار ، على معنى التعظيم والتهويل ، لا أن له ذراعاً كذراع الأيدي المخلوقة [٦]

ــ قال الذهبي[٧] : ليس هذا من الصفات في شيء وهو مثل قولك : ذراع الخياط وذراع النجار . [٨]

المبحث السادس : الراجح من القولين

بعد ذكر كلام أهل العلم في معنى الجبار في اللغة وفي الحديث وقول من جعله من أحاديث الصفات ومن لم يجعله منها يترجح للباحث أن الجبار الوارد في الحديث هو

(١) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري صنف غريب الحديث ومشكل القرآن وتأويل مختلف الحديث توفي سنة ٢٧٦ . سير أعلام النبلاء ٢٩٦/١٣

(٢) تأويل مختلف الحديث ٢١٤

(٣) أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب الصبغي النيسابوري العلامة المحدث كان يخلف ابن خزيمة في الفتوى ، صنف كتاب الأسماء والصفات وكتاب القدر وغيرها ، توفي سنة ٣٤٢ . سير أعلام النبلاء ٤٨٣/١٥ ، طبقات الشافعية ٩/٣

(٤) المستدرك ٥٩٥/٤ ، رقم ٨٧٦٠

(٥) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي البيهقي ألف شعب الإيمان والسنن الكبرى وغيرها توفي سنة ٤٥٨ . سير أعلام النبلاء ١٦٣/١٨

(٦) الأسماء والصفات للبيهقي ٤٣١ ــ ٤٣٢

(٧) الحافظ العلامة مؤرخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ألف سير أعلام النبلاء وميزان االاعتدال وغيرها توفي سنة ٧٤٨ . شذرات الذهب ٢٦٤/٨

(٨) البدور السافرة ٣٤٢

الموصوف بالطول فيكون معنى الحديث : بذراع الطويل ، وليس المراد به الله عز وجل لما يأتي :

١ ــ إذا قيل إن المراد بالجبار هو الله عز وجل يكون معنى الحديث : أن جلد الكافر أعظم من ذراع الله عز وجل باثنتين وأربعين مرة وهذا مخالف لقوله عز وجل { وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه } الزمر ٦٧ وقوله { وهو العلي العظيم } البقرة ٢٥٥

وكونه سبحانه أكبر من كل شيء كما قال تعالى { عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال } الرعد ٩ وقوله { وأن الله هو العلي الكبير } الحج ٦٢ وقوله { فالحكم لله العلي الكبير } غافر ١٢

٢ ــ أن المقاييس الواردة في الحديث كلها مخلوقة كقوله :

ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد

وقوله : ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع

وقوله : فخذه مثل البيضاء ومقعده من النار كما بين قديد ومكة

فكذلك قوله : ذراع الجبار

٣ ــ ليس في هذه الأحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين ــ مع كثرتها ــ ما يدل على أن المراد به الجبار عز وجل

٤ ــ تفسير الجبار بالطويل في هذا الحديث ليس من التأويل لأن التأويل :

صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى مخالف للظاهر[١] ، وهنا لم يحصل صرف للفظ عن ظاهره وإنما فسر اللفظ ببعض معانيه إذ الطويل من معاني الجبار كما دلت عليه اللغة

٥ ــ أن تفسير الجبار ــ الوارد في الحديث ــ بالطويل هو اختيار عدد من أهل اللغة منهم أبو عمر الزاهد وابن الأثير وصاحب لسان العرب كما سبق النقل عنهم

٦ ــ التسمية بالجبار ليست خاصة بالله عز وجل ، بحيث أنه إذا أطلق فهم أن المراد به الرب عز وجل دون غيره

وإنما يسمى به المخلوق أيضاً كما نقل عن أهل اللغة فإذا ورد في موضع تسمية الله عز وجل بالجبار فلا يلزم أن يكون في كل موضع يسمى به عز وجل بل ينظر في سياق الكلام وما يدل عليه فإن دل على أن المراد بالجبار الرب عز وجل حمل عليه وإن دل على أن المراد به المخلوق حمل عليه

(١) الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٦٩/٤

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام جميل في هذا المعنى يقول رحمه الله :
ولا يلزم من جواز القرب عليه أن يكون كل موضع ذكر فيه قربه يراد به قربه بنفسه بل يبقى هذا من الأمور الجائزة وينظر في النص الوارد فإن دل على هذا حمل عليه وإن دل على هذا حمل عليه وهذا كما تقدم في لفظ الاتيان والمجيئ
وإن كان في موضع قد دل عندهم على أنه هو يأتي ففي موضع آخر دل على أنه يأتي بعذابه كما في قوله تعالى :{ فأتى الله بنيانهم من القواعد } وقوله تعالى { فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا }
فتدبر هذا فإنه كثيراً ما يغلط الناس في هذا الموضع إذا تنازع النفاة والمثبتة في صفة ودلالة نص عليها ، يريد المريد أن يجعل ذلك اللفظ حيث ورد دالاً على الصفة وظاهراً فيها
ثم يقول النافي : وهناك لم تدل على الصفة فلا تدل هنا
وقد يقول بعض المثبتة : دلت هنا على الصفة فتكون دالة هناك
بل لما رأوا بعض النصوص تدل على الصفة جعلوا كل آية فيها ما يتوهمون أنه يضاف إلى الله ــ اضافة صفة ــ من آيات الصفات كقوله تعالى : { فرطت في جنب الله }
وهذا يقع فيه طوائف من المثبتة والنفاة وهذا من أكبر الغلط فإن الدلالة في كل موضع بحسب سياقه وما يحف به من القرائن اللفطية والحالية
وهذا موجود في أمر المخلوقين يراد بألفاظ الصفات منهم في مواضع كثيرة غير الصفات
وأنا أذكر لهذا مثالين نافعين
أحدهما : صفة الوجه فإنه لما كان اثبات هذه الصفة مذهب أهل الحديث والمتكلمة الصفاتية من الكلابية والأشعرية والكرامية وكان نفيها مذهب الجهمية من المعتزلة وغيرهم ومذهب بعض الصفاتية من الأشعرية وغيرهم صار بعض الناس من الطائفتين كلما قرأ آية فيها ذكر الوجه جعلها من موارد النزاع فالمثبت يجعلها من الصفات التي لا تتأول بالصرف
والنافي يرى أنه إذا قام الدليل على أنها ليست صفة فكذلك غيرها
مثال ذلك قوله تعالى : { ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله }
أدخلها في آيات الصفات طوائف من المثيتة والنفاة حتى عدها أولئك كابن خزيمة مما يقرر اثبات الصفة

وجعل النافية تفسيرها بغير الصفة حجة لهم في موارد النزاع ...

ثم قال : فمن تدبر ما ورد في باب أسماء الله تعالى وصفاته وأن دلالة ذلك في بعض المواضع على ذات الله أو بعض صفات ذاته لا يوجب أن يكون ذلك هو مدلول اللفظ حيث ورد حتى يكون ذلك طرداً للمثبت ونقضاً للنافي بل ينظر في كل آية وحديث بخصوصه وسياقه وما يبن معناه من القرآن(١) والدلالات فهذا أصل عظيم مهم نافع في باب فهم الكتاب والسنة والاستدلال بهما مطلقاً (٢).

فإن قيل : قد قال به بعض السلف ، قيل الحجة إنما هي في إجماع السلف لا في قول بعضهم ومجرد القول المأثور عن بعضهم لا يلزم الأخذ به

وقول القاضي أبي يعلى : لأن في الخبر أنه قال : اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار جل اسمه

وهذه الصفة لا يستحقها أحد من الجبابرة غير الله عز وجل .

يجاب عنه بأن هذه اللفظة [جل اسمه] لم ترد في الأحاديث الواردة فقد تم إيراد طرق عديدة لهذا الحديث وتم الرجوع إلى مصادر كثيرة من كتب التفسير والحديث والعقيدة وغيرها ولم توجد هذه اللفظة فيها مما يؤكد عدم ثبوتها

والقاضي رحمه الله مع ادعائه ثبوتها لم يقم الدليل الصحيح على صحة ورودها عن النبي صلى الله عليه وسلم

وأما قول القاضي :

ولأنه ذكر الجبار بالألف واللام والألف واللام يدخلان للعهد والجنس وليس يمكن حمله على الجنس لأنه يقتضي كل جبار وليس هاهنا معهود من الخلق يشار إليه فلم يبق إلا أن يحمل عليه سبحانه لأنه أعرف المعارف .

يجاب عنه : بأن المراد هنا الجنس أي جنس الطويل فليس هناك مانع يمنع من حمله عليه

ويظهر لي أن المانع ــ في رأي القاضي ــ من حمله على الجنس هو ظنه أن الجبار يراد به الله عز وجل أو المتجبر من الخلق فقط فإذا لم يصح أن يراد به المتجبر من الخلق تعين أن يراد به الله عز وجل

لكن إذا فسر بالطويل كما دلت عليه اللغة فليس هناك مانع يمنع من حمله على الجنس.

---

(١) كذا في الفتاوى والصواب : القرائن

(٢) الفتاوى ١٤/٦ ــ ١٥ ، ١٨

الخاتمة

بعد الانتهاء من كتابة هذا البحث تبين ما يأتي :

١ ــ أن الحديث ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية عدد من الصحابة رضي الله عنهم وصححه كثير من أهل العلم .

٢ ــ صحة تفسير الجبار بالطويل في اللغة .

٣ ــ كثير من أهل اللغة يفسرون الجبار الوارد في الحديث بالطويل .

٤ ــ أن القول الصحيح الذي تدل عليه القرائن ويشهد له سياق النص أن المراد بالجبـــار الوارد في الحديث : الطويل ويكون معنى الحديث ... بذراع الجبار أي بذراع الطويل ، وبهذا المعنى لا يكون هذا الحديث من أحاديث الصفات والله أعلم .

المراجع

- إبطال التأويلات لأخبار الصفات للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين ابن الفراء الحنبلي ، ت محمد بن حمد الحمود النجدي ، الناشر دار ايلاف الدولية، الكويت، ط ١، ١٤١٦ هـ
- اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة لأحمد بن أبي بكر البوصيري ، تحقيق عادل بن سعد والسيد بن محمود ، الناشر مكتبة الرشد ، ط ١ ، ١٤١٩
- الأسماء والصفات للبيهقي ، الناشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥
- اشتقاق أسماء الله ، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، ت عبد الحسين المبارك ، ط ٢ ، ١٤٠٦ ، الناشر مؤسسة الرسالة
- البدور السافرة في أمور الآخرة ، للسيوطي ، ت مصطفى عاشور ، الناشر مكتبة القرآن ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٠٩
- تأويل مختلف الحديث ، لابن قتيبة عبد الله بن مسلم ، صححه محمد زهري النجار ، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية
- تفسير ابن جرير الطبري ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمود شاكر ، الناشر دار المعارف بمصر ، ط ٢
- تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق عدد من الباحثين ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة
- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل تأليف أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ، تحقيق د/ عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان ، الناشر دار الرشد ، ١٤٠٨ ، ط ١
- جامع البيان عن تأويل القرآن = تفسير ابن جرير الطبري
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، لجلال الدين السيوطي ، الناشر دار الفكر ، ط ١ ، عام ١٤٠٣
- الرد على الجهمية ، لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن مندة ، ت د/ علي بن محمد ناصر الفقيهي ، ط ٢ ، ١٤٠٢
- الزهد والرقائق لعبد الله بن المبارك المروزي ، ت حبيب الرحمن الأعظمي ، الناشر مؤسسة الرسالة
- الزهد لهناد بن السري ، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي ، الناشر دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، ط ١ ، ١٤٠٦

- سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، ت أحمد شاكر ، الناشر دار الدعوة ، استانبول ، ١٤٠١
- السنة لابن أبي عاصم ، تخريج محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٠
- السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل ، تحقيق د/ محمد بن سعيد القحطاني ، الناشر دار ابن القيم ، ط ١ ، ١٤٠٦
- سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي ، تحقيق شعيب الإرناؤوط ، الناشر مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٤٠٢
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي عبد الحي بن أحمد الدمشقي ، تحقيق محمود الإرناؤوط ، الناشر دار ابن كثير ، ط ١ ، ١٤١٣
- صحيح البخاري ، موافقة لطبعة العامرة باستانبول ، الناشر المكتبة الإسلامية ، تركيا ، استانبول
- صحيح مسلم ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، مصور عن طبعة محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر المكتبة الإسلامية ، تركيا ، استانبول
- صحيح ابن حبان ، بترتيب ابن بلبان ، تأليف علي بن بلبان الفارسي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، الناشر مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٤١٤
- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ، ت عبد الفتاح الحلو ، ومحمود الطناحي
- غريب الحديث لأبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي ، تحقيق د / سليمان بن إبراهيم العايد ، الناشر مركز البحث العلمي واحياء التراث العلمي بجامعة أم القرى ، ط ١ ، ١٤٠٥
- غريب الحديث لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي ، تحقيق د/عبد المعطي أمين قلعجي ، الناشر دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٥
- الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع ابن قاسم ، مصور عن الطبعة القديمة
- لسان العرب ، لابن منظور ، دار صادر
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن محمد بن حجر العسقلاني ، الناشر المكتبة السلفية ، ط ٣
- مختصر زوائد مسند البزار ، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، تحقيق صبري بن عبد الخالق ، الناشر مؤسسة الكتب الثقافية ، ط ٣ ١٤١٤

- المستدرك للحاكم النيسابوري ، مصور عن الطبعة الهندية القديمة
- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق شعيب الإرناؤوط ، ط ١ ، الناشر مؤسسة الرسالة ، ١٤١٩
- مسند أبي يعلى الموصلي ، تحقيق حسين سليم أسد ، الناشر دار المأمون للتراث ، ط ١ ، ١٤٠٤
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق غنيم بن عباس ، ياسر بن إبراهيم بن محمد ، الناشر دار الوطن ، ط ١ ، ١٤١٨
- معجم البلدان ، لياقوت بن عبد الله الحموي ، الناشر دار صادر بيروت
- المعجم الكبير ، للطبراني ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، الناشر دار احياء التراث العربي ، ط ٢ ، ١٤٠٦
- المعرفة والتاريخ ، لأبي يوسف يعقوب بن سفيان البسوي ، ت د/ أكرم ضياء العمري ، مكتبة الدار ، المدينة ، ط ١ ، ١٤١٠
- النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير الجزري ، ت محمود الطناحي وطاهر الزاوي ، الناشر دار الفكر ، ط ٢ ، ١٣٩٩